سلسلة محاضرات «بلغوا عني . .»

الظلم

ظلمات يوم القيامة

بقلم
ناظم محمد سلطان محمود

دار ابن القيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ

دار ابن القيم
للنشر والتوزيع

تلفون : ٨٢٦٨٣٤٣ ـ فاكس : ٨٢٦٩٨٦٤ ـ ص.ب ١٨٦٥
الدمام ـ جنوب الاستاد الرياضي ـ أمام حديقه ابن سينا ـ المملكة العربية السعودية

المقدمة:

سبحانه إله واحد لا ثاني له، منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له ملك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلىٰ موجود يوجده، بل كل موجود موجود به، وهو تعالىٰ موجود بنفسه لا يغيِّره زمان، ولا يشغله شأن عن شأن.

سبحانه خلق فسوىٰ، وقدر فهدىٰ، وأخرج المرعىٰ، فجعله غثاء أحوىٰ بقدرته ينمو الزرع، ويَدِرُّ الضرع، وتجري الأنهار، وتطيب الثمار، وتعيش الكائنات في قاع البحار، وله تسبح الأملاك في الأفلاك ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً**﴾[1].

تعاليت يا رب، ما أدق نظامك، وما أعظم شأنك، وما أوسع ملكك، وما أبدع بنيانك، ملائكة السموات

---

(١) الإسراء ٤٤.

المطهرون خدامك، وملوك الأرض المتوجون عبيدك، يدك فوق أيديهم، وقدرتك آخذة بنواصيهم، وحكمك العادل نافذ فيهم.

أما بعد . . .

فهذه بعض الأمور التي تتعلق بالظلم ـ أعاذنا الله منه ـ أذكر بها العباد، والذكرىٰ تنفع المؤمنين.

وهي كالآتي:

١) الظلم في اللغة.
٢) من مظاهر الظلم.
٣) الله تعالىٰ منزه عن الظلم.
٤) الظلم من طباع نفوس البشر.
٥) الظلم متفاوت.
٦) حكم الظلم.
٧) موقف المسلم السوي من الظالمين.
٨) موقف المسلم من المظلومين.
٩) دفع الظلم عن النفس.
١٠) الله عز وجل يمهل الظالم ولا يهمله.
١١) إتقاء دعوة المظلوم.
١٢) السبيل لتزكية النفس من الظلم.

١٣) الترهيب من الظلم.

هذا وأسأل الله تعالىٰ أن يجعل لهذا الجهد القبول عند عباده وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه «أبو محمد»
ناظم محمد سلطان محمود
السبت ١٧/١٢/١٤١١هـ
الموافق ٢٩/٦/١٩٩١

الظلم في اللغة:

فهم المراد من الكلمة في لغة العرب، يعين علىٰ فهم المقصود منها في شرع الله تعالىٰ علىٰ الوجه الصحيح، لأن الله تعالىٰ أنزل كتابه بلسان العرب ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾[٢] فإذا تصفحنا معاجم اللغة، نجد أن معنىٰ الظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، وفي المثل: من استرعى الذئب فقد ظلم، وذلك أنه وضع الذئب في غير موضعه وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد، والظلم كذلك الميل عن القصد.

من مظاهر الظلم:

مظاهر الظلم كثيرة، ولكن يمكن حصرها تحت النقاط الآتية:

أ ـ ظلم الإنسان لنفسه:

ويكون ذلك بارتكاب الذنوب والخطايا، والله تعالىٰ

---

(٢) يوسف ٢.

حرم علينا ذلك قال تعالىٰ: ﴿**فلا تظلموا فيهن أنفسكم**﴾[٣].

ب ـ ظلم الإنسان لإخوانه ويكون ذلك:

١ ـ بالتعدي علىٰ أعراضهم.
٢ ـ بالتعدي علىٰ أبدانهم.
٣ ـ بالتعدي علىٰ أموالهم.

وكل هذا محرم، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت**»[٤] وقال ذلك في خطبة يوم عرفة المشهورة في أكبر جمع حضره.

جـ ـ تغيير ما شرعه الله تعالى:

استبدال شريعة السماء السمحاء بالقوانين الوضعية، التي وضعها البشر، هذا من أعظم الظلم، قال تعالىٰ واصفاً الحكام الذين لا يحكمون شريعته: ﴿**ومن لم يحكم**

---

(٣) التوبة ٣٦.
(٤) البخاري ومسلم وغيرهما.

بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾[٥] وذلك أنهم وضعوا الأمور في غير موضعها .

د ـ عدم المساواة بين الناس في تطبيق القوانين :

هذا فساد في الأرض، يؤدي إلىٰ فشو البغضاء والشحناء بين طبقات المجتمع، ويوقف عجلة التقدم والتطور فيه، ويؤدي في النهاية إلىٰ الهلاك، قال عليه الصلاة والسلام في سرقة المرأة المخزومية : «**إنما أهلك الذين من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**»[٦] .

فيجب علىٰ ولاة الأمـر، أن يطبقوا حكم الله علىٰ الشريف والضعيف، ولهم قدوة في ذلك بإمام المرسلين، حيث قال : «**والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[٧] .

هـ ـ ظلم الحيوان :

مثل أن يذبحه عبثاً، كما إن التسلي والترفيه بإقامـة

---

(٥) المائدة ٤٥ .

(٦) رواه أحمد أنظر صحيح الجامع للألباني رقم ٢٣٤٤ .

(٧) رواه البخاري .

صراع الديكة والكلاب والثيران، هذا كذلك من الظلم، أو أن يوضع هدف للترامي بنبل أو سلاح فقد بين عليه الصلاة والسلام: «**أن أمرأة عذبت في هرة، حبستها حتىٰ ماتت فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها حتىٰ تأكل من خشاش الأرض**»[٨].

كما لعن رسول الله ﷺ من مَثَّلَ بالحيوان، أخرج البخاري في صحيحه، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «**لعن النبي ﷺ من مثَّل بالحيوان**».

وعن سعيد بن جبير قال: كنت عند ابن عمر، فمروا بفتية أو بنفر، نصبوا دجاجة يرمونها، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، وقال ابن عمر: «من فعل هذا؟ إن النبي ﷺ لعن من فعل هذا»[٩].

---

(٨) متفق عليه.

(٩) البخاري.

الله تعالى منزه عن الظلم :

الله تبارك وتعالىٰ يوصف بمحامد الصفات، وينزه عن النقائص، والظلم منقصة، نزه الله نفسه عنها في أكثر من موضع في كتابه، قال تعالىٰ: ﴿**ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾[١٠] ومثلها في الأنفال والحج، وقال تعالىٰ: ﴿**من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**﴾[١١] ومثلها في سورة «ق».

وقال تعالىٰ: ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة..**﴾[١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿**ولا يظلمون فتيلاً**﴾[١٣] وقال: ﴿**ولا يظلمون نقيراً**﴾[١٤] وقال: ﴿**إن الله لا يظلم الناس شيئاً**﴾[١٥] وقال: ﴿**ولا يظلم ربك أحداً**﴾[١٦].

---

(١٠) آل عمران ١٨٢.

(١١) فصلت ٤٦.

(١٢) النساء ٤٠.

(١٣) النساء ٤٩ ومعنىٰ فتيلا: ما يكون في شق نواة التمر.

(١٤) النساء ١٢٤ ومعنىٰ نقيرا: النقطة التي هي في ظهر نواة التمر.

(١٥) يونس ٤٤.

(١٦) الكهف ٤٩.

قال سبحانه في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي. .**»[17] والإيمان بتنزيه الله عن الظلم يورث في القلب محبة الله تعالىٰ.

الظلم من طباع نفوس البشر:

يشهد بهذا الخبير العليم سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار. .**﴾[18] وظلوم: أي كثير الظلم لنفسه ولغيره. وقال سبحانه: ﴿**إنا عرضنا الأمانة علىٰ السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحلمها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً. .**﴾[19] فالإنسان ظلوم جهول بعواقب أموره، ولا يرتدع عن الظلم إلا بسبب علة، قد تكون هذه العلة وازعاً دينيًّا أو قانونا صارماً، وصدق المتنبي حين قال:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلم

ووصف الخبير العليم للنفس بهذا، يستلزم طلب العلاج لها من هذا الداء، والله تعالىٰ أمرنا بتطهيرها مما

---

(١٧) مسلم ٦/١٣٥.

(١٨) إبراهيم ٣٤.

(١٩) الأحزاب ٧٢.

يدنسها ﴿قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾[٢٠] وتكون تزكيتها بمجاهدتها وفق منهج الله تعالىٰ.

الظلم مراتب :

الظلم يتفاوت، فليست مراتبه وعواقبه سواء عند الله تعالىٰ، عن عبدالله قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك علىٰ الناس، وقالوا: يا رسول الله، فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون! ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم﴾ إنما هو الشرك[٢١].

فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فهموا الظلم علىٰ عمومه في هذه الآية، فصحح فهمهم ـ عليه السلام ـ وبين لهم المقصود من الآية.

فالمسلم الحق، لا يسوِّي بين الظالمين في العقوبة والمعاملة، بل يعامل كل ظالم علىٰ قدر مظلمته، وبهذا تأمر شريعة السماء العادلة ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها. .﴾[٢٢].

---

(٢٠) الشمس ٩.

(٢١) رواه أحمد أنظر تفسير ابن كثير ٣/٢٨٨.

(٢٢) الشورىٰ ٢٧٧.

حكم الظلم :

الظلم محرم في شريعة الله تعالىٰ، حرمه سبحانه علىٰ نفسه، وعلىٰ عباده، وتوعد الظالمين بعذاب إليم في الدارين، وذلك لما له من عواقب وخيمة علىٰ الأفراد والمجتمعات.

قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا..**»[٢٣].

والآيات والأحاديث التي تنهىٰ عن الظلم كثيرة معلومة سيأتي منها الكثير في ثنايا الموضوع.

---

(٢٣) رواه مسلم ٦/١٣٥.

موقف المسلم السوي من الظالمين :

عدم محبة الظالمين، لأنه يوافق ربه في ذلك: ﴿**إنه لا يحب الظالمين**﴾[٢٤] ويبغضهم علىٰ قدر مظلمتهم، فليس بغضه لمن أشرك كبغضه لمسلم وقع في معصية دون الشرك.

الإنكار علىٰ الظالمين، حسب قدرته، لأنه يدرك أن للظلم آثاراً قد تتعدىٰ فتصيب الصالحين قال تعالىٰ: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾[٢٥] وقال ﷺ: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا علىٰ يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**»[٢٦].

وقال ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[٢٧] والمنكر ظلم.

وقال تعالىٰ: ﴿**ولا تركنوا إلىٰ الذين ظلموا فتمسَّكُم**

---

(٢٤) الشورىٰ ٤٠.

(٢٥) الأنفال ٢٥.

(٢٦) أبو داود والترمذي والنسائي.

(٢٧) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾[٢٨].

فالمسلم السوي لا يركن للظالمين، والركون كما بينت العلماء: الاستناد والاعتماد والسكون إلىٰ الشيء والرضا به والإدهان.

والمقصود بالذين ظلموا في هذه الآية هم أهل الشرك وعصاة المسلمين من حكام وغيرهم وهذه الآية دِلالَة علىٰ هجران أهل الكفر، والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإن صحبتهم كفرٌ ومعصية.

وصدق من قال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

موقف المسلم من المظلومين:

الظلم لا ينقطع بين الناس، وما أكثر المظلومين في عالمنا من المسلمين وغيرهم، وموقف المسلم من هؤلاء محدد، وهو نصرة هؤلاء على حسب قدرته، ولا يحل لمسلم

---

(٢٨) هود ١١٣.

أن يسلم أخاه ويتخلىٰ عنه وهو يستطيع نصره وذلك لورود النصوص الآتية في هذا:

١ ـ عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: اقتتل غلامان غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادىٰ المهاجري يا للمهاجرين، ونادىٰ الأنصاري، يا للأنصار فخرج رسول الله ﷺ فقال: «**ما هذا؟ دعوىٰ الجاهلية**»، قالوا: لا يا رسول الله، إلا أنَّ غلامين اقتتلا، فكسع[٢٩] أحدهما الآخر قال: «**فلا بأس**[٣٠]، **ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه، فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينصره**»[٣١].

دل الحديث على وجوب نصرة الأخ لأخيه، كما فيه كره النبي عليه السلام لدعوىٰ الجاهلية، حيث استغاث كل من المهاجري والأنصاري بقبيلته، لأنهم كانوا يأخذون حقوقهم بالعصبيات، والإسلام أبطل هذا، وجعل أخذ الحقوق بالأحكام الشرعية.

---

(٢٩) كسع: أي ضرب دبره.

(٣٠) قوله «فلا بأس» أي مما كنت خفته من حدوث أمر عظيم يوجب فتنة وفساد.

(٣١) رواه مسلم ١٦/١٣٨.

٢ ـ عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربته، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»[٣٢].

دل الحديث على فضل إعانة المسلمين، وتفريج مصائبهم، وستر زلاتهم، ويكون ذلك بنصرتهم بماله، أو جاهه، أو مساعدته، أو مشورته ورأيه.

٣ ـ وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[٣٣].

إذا أصيب عضو من بدن الإنسان، فنجد جميع الجوارح تتناصر وتتعاون في دفع هذا الضرر، وهكذا ينبغي أن يكون المسلمون في نصرتهم لبعضهم البعض.

---

(٣٢) رواه مسلم ١٦/ ١٣٥.

(٣٣) متفق عليه.

دفع الظلم عن النفس :

إذا كان الجاهليون في جاهليتهم يأبون الظلم، ويرفضونه بكل ما أوتوا قال عنترة الجاهلي :

أثني عليَّ بما علِمْتِ فإنَّني
سمحٌ مخالطتي إذا لم أظلم
فإذا ظلمتُ فإنَّ ظلمِيَ باسلٌ
مرٌّ مذاقتُهُ كطعم العلقم

فعنترة سمح المخالطة والمعاشرة مع الناس، إذا أحسنوا معاملته، ولم يسيئوا إليه، أما إذا تعرضوا له، فذلك الغضب الذي يكون كالعلقم لا يطيقه الإنسان، ولا يكاد يسيغه.

إذن فكيف بالمسلم الذي أعزه الله تعالىٰ بهذا الدين، فهل يليق به أنَ يركن للظلم والظالمين؟ ويعيش طول عمر يتجرع الذل والهوان والاستعباد؟

قال تعالىٰ ما دحاً عباده الموحدين، الذين يدفعون عن أنفسهم ظلم الظالمين: ﴿**والذين إذا أصابهم البغيُ هم ينتصرون..**﴾[٣٤].

---

(٣٤) الشورىٰ ٤١.

وقال تعالىٰ: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[٣٥].

فهذه الآيات تحث المسلم علىٰ رفض الظلم، والانتصار من الظالم بل جعل الإسلام دفع الظلم عن المال والعرض والنفس من أعظم أبواب الأجر والثواب.

قال عليه الصلاة والسلام: « **مَن قُتِل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد** »[٣٦].

وقال عليه السلام: «**من قتل دون مظلمته فهو شهيد**»[٣٧].

كما أن للمسلم قدوة صالحة في سلفنا الصالح، الذين ضربوا أروع الأمثلة لرفض الظلم.

عندما أراد ـ عليه السلام ـ أن يعطي غطفان ثلث ثمار

---

(٣٥) الشعراء ٢٧٧.

(٣٦) صحيح الجامع الصغير رقم ٦٣٢١ رواه أحمد وابن حبان عن سعيد بن زيد.

(٣٧) رواه أحمد عن ابن عباس أنظر صحيح الجامع رقم ٦٣٢٣.

المدينة، علىٰ أن ينسحبوا من تجمع الأحزاب المحتشد للقضاء علىٰ دولة الإسلام وحماتها، وقبل أن ينفذ هذا الصلح استشار السعدين، سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج.

قال السعدان: ... يارسول الله .. أأمْراً تحبه فتصنعه؟ أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به؟ أم شيئاً تصنع لنا؟ فإن كان أمراً من السماء فامض له، وإن كان أمراً لم تؤمر به ولك فيه هوًى فسمع وطاعة، وإن كان إنما هو الرأي، فما لهم عندنا إلا السيف.

فقال رسول الله ﷺ: «.. **لو أمرني الله ما شاورتكما، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر شوكتهم إلىٰ أمر ما**».

فقال له سعد بن معاذ ـ وكان شاباً لم يكمل الأربعين من عمره: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم ـ يعني غطفان ـ علىٰ الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة، إلا قِرًىٰ أو بيعاً وإن كانوا ليأكلون العِلْهِز[٣٨] في الجاهلية من الجهد.

---

(٣٨) العِلْهِز: بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه ـ وبر يخلط =

أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له وأعزنا بك وبه، نقطعهم أموالنا، ما لنا بهذا من حاجة، وعندما عدل النبي عن رأيه إلىٰ رأيهما، مزقا الصحيفة التي كتب فيها الصلح وقال سيد الأوس لسيدي غطفان عيينة بن حصن والحارث بن عوف ـ وقد رفع صوته في تحد ـ ارجعا ليس بيننا وبينكم غير السيف[٣٩].

الله عز وجل يمهل الظالم ولا يهمله :

من صفاته الجليلة سبحانه، أنه يصبر علىٰ ظلم عباده وأذاهم، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا أحد أصبر علىٰ أذىٰ سمعه من الله، يدعون له الولد، وهو يرزقهم ويعافيهم**»[٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلىٰ أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾[٤١].

= بدماء الحلم ـ بفتح الحاء واللام ـ كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجدب.

(٣٩) أنظر غزوة الأحزاب لمحمد أحمد باشميل ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٤٠) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤١) النمل ٦١.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيرها: يخبر تعالى عن حلمه بخلقه علىٰ خلقه مع ظلمهم، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك علىٰ ظهر الأرض من دابة، أي: لأهلك جميع دواب الأرض تبعاً لإهلاك بني آدم. ولكن الرب ـ جل جلاله ـ يحلم ويستر وينظر ﴿إلىٰ أجل مسمىٰ﴾، أي: لا يعاجلهم بالعقوبة، إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقىٰ أحداً[٤٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾[٤٣].

وكذلك قال ابن كثير كلاماً طيباً في تفسير هذه الآية: ولا تحسبن الله ـ يا محمد ـ غافلاً عما يعمل الظالمون، أي: لا تحسبه إذ أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم، لا يعاقبهم علىٰ صنعهم، بل يحصي ذلك عليهم ويعده عداً أي: ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أي: من شدة الأهوال يوم القيامة.

وقال عليه الصلاة والسلام: إن الله ليملي للظالم حتىٰ

---

(٤٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٩٧.

(٤٣) إبراهيم ٤٢.

إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ قوله تعالىٰ: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**﴾[٤٤].

ومعنىٰ يملي: يمهله ويؤخره ويطيل له في المدة.
ومعنىٰ لم يفلته: لم يطلقه ولم ينفلت منه.

إتقاء دعوة المظلوم:

يكون الإتقاء لدعوة المظلوم بالبعد عن الظلم، حتىٰ لا يعرض المكلف نفسه لدعائهم، لأنه مستجاب، وإن كان من غير المسلمين، كما دلت السنة علىٰ ذلك.

أوصىٰ ﷺ معاذاً عندما أرسله لجباية الزكاة، باتقاء دعوة المظلوم: «**إياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[٤٥].

وعن بن خزيمة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تحمل علىٰ الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»[٤٦].

---

(٤٤) مسلم ١٦/١٣٥ والبخاري في كتاب التفسير سورة هود.
(٤٥) رواه البخاري.
(٤٦) أنظر صحيح الجامع الصغير ١١٦.

وعن ابن عمر قال: قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعُد إلىٰ السماء كأنها شرارة»[٤٧].

وعن أنس قال: قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب»[٤٨].

السبيل لتزكية النفس من الظلم:

بما أمر الله تعالىٰ عباده، أن يجاهدوا أنفسهم، وذلك بتطهيرها وتزكيتها من الرذائل، من ظلم وكبر وحسد وغيره..، ووعد سبحانه من جاهدها مبتغياً بذلك وجه الله بالهداية لسبل السلام، قال تعالىٰ: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾[٤٩].

وهنا أذكر بعض الأمور المعينة علىٰ الإحتراز من الظلم:

١) تقوىٰ الله عز وجل:

هي أصل الدين، وهي وصية الله تعالىٰ لعباده الأولين والآخرين إلىٰ يوم الدين، وهي الرادع للمكلف من الوقوع

---

(٤٧) المصدر السابق ١١٧.

(٤٨) المصدر السابق ١١٨ رواه أحمد بسند حسن.

(٤٩) العنكبوت ٦٩.

في محارم الله تعالىٰ، فعلىٰ المكلف أن يجتهد في تحقيقها في ذاته، فيعرف قدر الله تعالىٰ وعظمته قال تعالىٰ: ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون**﴾[٥٠] فالظالم لو قدر ربه حق قدره لا نزجر عن ظلمه.

٢) التواضع:

حث النبي الكريم عليه الصلاة والسلام علىٰ التواضع: «**إن الله تعالىٰ أوحىٰ إلي أن تواضعوا حتىٰ لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد**»[٥١].

والتواضع علاج للظلم، وهو عكس الكبر، والكبر سبب الظلم، لذا رهب الله تعالىٰ منه في الحديث القدسي يقول الله تعالىٰ يوم القيامة: «**أنا الملك أين ملوك الأرض أين الجبارون أين المتكبرون**»[٥٢].

والتواضع خلق مكتسب علىٰ الإنسان أن يدرب نفسه عليه.

---

(٥٠) الزمر ٦٧.

(٥١) رواه مسلم.

(٥٢)

٣) التخلص من الحسد:

لأنه سبب الظلم وَوَردتْ نصوص كثيرة بالنهي عنه قال عليه الصلاة والسلام: «**ولا تحاسدوا..**».

٤) ترغيب النفس بما أعده الله للعادلين:

الترغيب والترهيب أسلوب تربوي ناجح، سلكه إمام المربين عليه السلام في تربية نفوس أصحابه، فعلىٰ المسلم أن يرغب نفسه بما أعد الله تعالىٰ لمن سلك مسلك أهل العدل والنزاهة، وأذكر من ذلك قال عليه السلام: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..**»[٥٣] وذكر منهم «**إمام عادل**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن المقسطين عند الله علىٰ منابر من نور علىٰ يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّو**»[٥٤] إلىٰ غيرها من النصوص التي ترغب في ذلك.

٥) التوجه إلىٰ الله بالدعاء الصادق:

بالإعانة علىٰ تطهير النفس منه ومن مقاماته وهو سبحانه

---

(٥٣) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٥٤) رواه مسلم وأحمد والنسائي (صحيح الجامع الصغير ١٩٤٩).

المعين علىٰ ذلك والله سبحانه أمرنا بالتوجه إليه بالدعاء: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم..﴾.

الترهيب من الظلم:

توعد الله عز وجل الظالمين بعذاب أليم في الدارين، وذلك لما للظلم من عواقب سيئة علىٰ الأفراد والمجتمعات، فإنه يؤدي للإضطرابات، والقلاقل وفشو الأحقاد، وتقطيع لأواصر الأخوة والمحبة، التي أمر الله بها عباده.

عواقب الظلم في الدنيا:

- لا يفلح في دنياه من سلك مسلك الظالمين، وإن زين له شيطانه ذلك، فإن ما زينه له سراب لا حقيقة له، قال تعالىٰ: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾[٥٥] وقال سبحانه: ﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾[٥٦] ومثلها آيات أخرىٰ في سورة الأنعام والقصص، يؤكد الله تعالىٰ بها ذلك.

- قد يحرم من هداية التوفيق قال تعالىٰ: ﴿إن الله لا

---

(٥٥) الأنعام ١٣٥.

(٥٦) يوسف ٢٣.

يهدي القوم الظالمين﴾[٥٧] وقال سبحانه: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٥٨].

وطلب هداية التوفيق، من الأدعية التي أوجبها الله علينا، في أعظم مقام نقف فيه بين يدي الله عز وجل، وهو في الصلاة، حيث نقول في كل ركعة: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ فالظلم ـ أعاذنا الله منه ـ يكون سبباً لحرمان هداية التوفيق. وهذا يستلزم البعد عن مقامات الظلم حتىٰ يستجيب الله دعاءنا في صلاتنا.

ـ الظالم المستبد سينال جزاء ظلمه في الدنيا قبل الآخرة عن أبي بكرة قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله تعالىٰ لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من البغي، وقطيعة الرحم**»[٥٩].

ـ الظلم سبب مصائب الدنيا من أوجاع وأسقام وفقر وذهاب الأولاد والأموال والقتل والتعذيب بكل صنوفه وغلاء الأسعار و. . قال تعالىٰ: ﴿**وإن للذين ظلموا عذاباً**

---

(٥٧) الأنعام ٤٤.

(٥٨) التوبة ١٩.

(٥٩) أنظر صحيح الجامع الصغير رقم ٥٥٨٠.

دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾[٦٠] دون ذلك أي قبل موتهم كما قال مجاهد وابن زيد وغيرهما وأنشد الناظم:

إذا ما ظالمٌ استحسن الـظلمَ مذهبـاً
وَلَـجَّ عتــوا في قبيح اكتسـابـه
فكـلْهُ إلىٰ صرف الـلـيالي فإنها
سَتدْعي له ما لم يكن في حسابه
فكـم قد رأينـا ظالمـاً متمـرداً
يرىٰ النجم تيها تحت ظل ركابه
فعـما قليلٍ وهـو في غفـلاتـه
أنـاخت صروفُ الحـادثات ببابه
فأصبـح لا مـال لا جـاهَ يرتجىٰ
ولا حسـنات تلتقي في كتابـه
وجُوزي بالأمر الذي كان فاعلاً
وصـب عليه الله سوطَ عذابـه

ـ عقوبة شاملة للقرىٰ الظالمة: إذا انتشر الظلم في مجتمـع، وجـاهـر أهله به، وصار الصبغة العامة لهذا المجتمع، قد يعجل الله لهم بعقوبة شاملة، لا يكاد يسلم منها أحد، بل تعم الصالح والطالح.

---

(٦٠) الطور ٤٧.

كما ذكر لنا تبارك وتعالىٰ، ما فعله بالقرىٰ الظالمة قال تعالىٰ: ﴿**وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين**﴾[٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿**فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية علىٰ عروشها وبئر معطلةٍ وقصرٍ مشيد**﴾[٦٢].

قال تعالىٰ: ﴿**وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا**﴾[٦٣].

قال ابن كثير: يقول تعالىٰ متوعداً لمن خالف أمره، وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ـ ومخبراً عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال: ﴿**وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله**﴾ أي: تمردت واستكبرت عن إتباع أمر الله ومتابعة رسله: ﴿**فحاسبناها حساباً شديداً، وعذبناها عذاباً نكراً**﴾ أي منكراً فظيعاً.

وهذه الآية عقَّب الله بها بعد أن بين بعض أحكام

---

(٦١) الأنباء ١١ والقصم: الكسر الشديد.

(٦٢) الحج ٤٥.

(٦٣) الطلاق ٩.

الطلاق متوعداً بها الذين يتعدون حدوده.

- بعض الظلم يلعن صاحبه:

قال تعالىٰ: ﴿يوم لا ينفعُ الظالمين معذِرتُهُم ولهم اللعنةُ ولهم سوءُ الدار﴾[٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم ألا لعنةُ الله علىٰ الظالمين﴾[٦٥].

واللعنة: الإبعاد والطرد من رحمة الله تعالىٰ.

وعن سعيد بن جبير قال: كنت عند ابن عمر فمروا بفتيةٍ أو بنفرٍ نصبوا دجاجة يرمونها فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها وقال ابن عمر: من فعل هذا؟ إن النبي ﷺ لعن من فعل هذا.[٦٦].

فبعضُ مظاهر الظلم يلعن فاعله في الدنيا والآخرة نسأل الله العافية.

---

(٦٤) غافر ٥٢.

(٦٥) هود ١٨.

(٦٦) البخاري كتاب الذبائح باب ما يكره من المثلة.

عواقب الظلم بالآخرة :

ما أعده الله للظالمين أدهىٰ وأمر مما يصيبهم في الدنيا وإليك ذكر بعضاً مما ذكر في الكتاب والسنة.

١) لا نصير ولا شفيع ولا حميم للظالمين:

قال تعالىٰ: ﴿وما للظالمين من أنصار﴾[٦٧].

وقال سبحانه: ﴿وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾[٦٨].

وقال عليه السلام: «صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمامٌ ظلومٌ غشومٌ، وكل غالٍ مارق»[٦٩].

فقد يحرم الظالمون من شفاعة إمام المرسلين، وشفاعة مَنْ يأذن الله لهم في الشفاعة لعباده.

٢) إفلاس الظالمين يوم العرض:

قال عليه الصلاة والسلام: «أتدرون من المفلس؟»

---

(٦٧) آل عمران ٢٧٠.

(٦٨) غافر ١٨.

(٦٩) رواه الطبراني عن أبي أمامة أنظر صحيح الجامع الصغير ٣٦٩٢.

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيام وزكاة، ويـأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطىٰ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضىٰ ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[٧٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن يأتي يوم ليس ثم دينار ولا درهم وإنما الحسنات والسيئات**»[٧١].

في الحديثين بيان أن الظلم يؤدي يوم الدين إلى الإفـلاس، كما أن فيهما بيـان كيفـية القصـاص بين العباد يوم العرض على الله تعالى. كما بين عليه السلام أن القصاص يكون بين البهائم قال عليه الصلاة والسلام: « **لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتىٰ يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** »[٧٢].

---

(٧٠) مسلم والترمذي.

(٧١) البخاري.

(٧٢) رواه مسلم ٥/٤٤٣.

٣) تحسر وندم الظالمين يوم القيامة:

عندما يرون ما وعدهم الله تعالىٰ به يوم القيامة، يتحسر ويندم الظالمون حيث لا ينفع التحسر والندم، قال تعالىٰ: **﴿ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾**[٧٣].

وقال تعالىٰ: **﴿ويوم يعض الظالم علىٰ يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾**[٧٤].

فكل ظالم سيندم يوم القيامة ـ ولات ساعة مندم ـ غاية الندم ويقول ما ذكر الله عنه.

٤) مشاهد من أحوال الظالمين يوم القيامة:

وقال تعالىٰ: **﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعي**

---

(٧٣) يونس ٥٤.

(٧٤) الفرقان ٢٧.

رُءوسهم لا يرتدُّ إليهم طرفهم وأفئدتُهم هواء﴾[٧٥].

يخرجون من قبورهم مسرعين إلىٰ المحشر، ترتفع أبصارهم وتشخص من شدة هول يوم القيامة، مُديمي النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من هول، قلوبهم خاوية بسبب الوجل والخوف عياذاً بالله من ذلك كما أخبر عنهم سبحانه بأنهم يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض.

٥) عاقبة الظلم جهنم:

قال تعالىٰ: ﴿**ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار الذي كنتم بها تكذبون**﴾[٧٦] فعاقبة الظالمين جهنم لا يموتون فيها ولا يحيون.

وقال ﷺ: «**من اقتطع حقَّ امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**» فقال رجلٌ وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله فقال: «**وإن كان قضيباً من أراك**»[٧٧].

---

(٧٥) إبراهيم ٤٣.

(٧٦) سبأ ٤٢.

(٧٧) رواه مسلم.

وعن أبي سلمة رضي الله عنه: أنه كانت بينه وبين أناس خصومة فذكر لعائشة رضي الله عنها فقالت له: يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن النبي ﷺ قال: «**من ظلم قِيدَ شبرٍ من الأرض طُوّقَهُ من سبع أرضين**»[٧٨] ومعنىٰ الحديث كما بين أهل العلم:

١) قيل أنه يكلف نقل ما ظلم من الأرض يوم القيامة إلىٰ المحشر.

٢) وقيل تخسف به الأرض، التي اغتصبها فتصبح في عنقه مثل الطوق، بعد أن يعظم قدر عنقه حتىٰ يسعه ذلك الطوق من الأرض.

٣) قيل أن يكون التطويق تطويق الإثم والمراد به أن الظلم المذكور لازم له في عنقه لزوم الإثم ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**ألزمناه طائره في عنقه**﴾ كذا في الفتح وهذه بعض الأبيات يبين فيها الناظم ما أعده الله للأشقياء في نار جهنم نسأل الله السلامة.

---

(٧٨) رواه البخاري كتاب المظالم باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض.

قال الناظم واصفاً جهنم:

هذا وإن الأشقياءَ لفي سقر
ألا فساءتِ المقامَ والمقر
يؤتىٰ بها في موقف القيامِ
سبعونَ آلافٍ من الزمامِ
زُمْت بها كلُّ زمامٍ في يدي
سبعين ألفَ ملك مؤيَّدي
انْزَفَرَت ثم رمت بشرر
جثا لذاك كلُّ من في المحشر
ثلاثةُ آلافِ عامٍ أضرمت
حتىٰ بدت مسودةً فأظلمت
لو تسقطُ الصخرةُ من شفيرها
سبعون عاماً لم تصل لقعرها
أما الذين كتبوا من أهلها
أعني به من خُلقوا لأجلها
فهم خلودٌ أبد الآبادي لا
حياةَ لا موت فساءت نزلا
مهادُهم من تحتهم جحيمُ
يُصب من فوقهم الحميمُ

قوتَهم الضريعَ والزقومُ
وبئسَ ظلاً لهم اليحمومُ
يسقون فيها من حميمٍ آن
علىٰ كلاليب من النيران
يشوي الوجوه والجلودَ يَصْهَرُ
ويقطع الأمعاء حينَ يَقْطُر
فهم علىٰ الوجوه يسحبون
فيها وفي الحميم يسجرون
بهم ملائِكٌ غلاظٌ وُكّلوا
وفي سلاسِل الجحيم سُلْسِلوا
غُلّت نواصيهُمُ إلىٰ الأقدام
وفي مزيدهم من الآلام
يهون في أمدها المْدِيدِ
لم ينتهوا لقعرها البعيد
سبعون عاماً ولهم أنكالُ
مقامعُ الحديدِ والأغلالِ
يقلبون الدهر في سعيرها
بين سمومها وزمهريرها
وكلما رامُوا الخروج منها
فيها أعيدوا ولا محيص عنها

جلودهـــم تبـــدل فيهـــا كلما
تَنْضُجُ عـادت ليذوقـوا الألمـا

تمت هذه الرسالة بجهود متواضعة والحمد لله .

الفهـــــرس

الموضـــــوع	صـ
المقدمة	٣
الظلم في اللغة	٧
من مظاهر الظلم	٧
الله تعالى منزه عن الظلم	١١
الظلم من طباع نفوس البشر	١٢
الظلم مراتب	١٣
حكم الظلم	١٤
موقف المسلم السوي من الظالمين	١٥
موقف المسلم من المظلومين	١٦
دفع الظلم عن النفس	١٩
الله عز وجل يمهل الظالم ولا يهمله	٢٢
اتقاء دعوة المظلوم	٢٤
السبيل لتزكية النفس من الظلم	٢٥
الترهيب من الظلم	٢٨
عواقب الظلم بالآخرة	٣٤